نسبة النوع عند الولادة وكثرة الرجال دون النساء

د. كريم حسنين إسماعيل عبد المعبود

www.eajaz.org

ملخص البحث:

يذهب الكاتب –والله تعالى أعلم– إلى أن الآية الكريمة تتناول نسبة النوع عند الولادة: قال تعالى (يا أَيّهَا النّاسُ اتّقُواْ رَبّكُمُ الّذِي خَلَقَكُمْ) فالعلة هي تقوى الرب الذي خلقنا والإله الذي أوجدنا (مّن نّفْسٍ وَاحِدَةٍ) يعني من آدم عليه السلام (وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) أي خلق من النفس الواحدة زوجها وهي حوّاء (وَبَثّ مِنْهُمَا) الضمير راجع إلى آدم وحواء، والمعبر عنهما بالنفس والزوج، والمعنى أي خَلَق وذرأ أو فرق ونشر منهما على وجه التناسل والتوالد، فلحظة البث هي وقت الولادة، حيث ينفصل الخلق الجديد كلياً عن الأم ويصبح كائناً محدداً مستقلاً بذاته، (رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً) والمراد هو الذكور والإناث مطلقاً تجوزاً وليس الرجال والنساء البالغين والبالغات، وحكمة مغايرة اللفظ هي تأكيد الكثرة والمبالغة فيها بترشيح كل فرد من الأفراد المبثوثة لمبدئية غيره، وأن في صدر الآية أمر بالتقوى، ولذا ذكر الكبار منهم لأنه في معرض المكلفين بالتقوى. وظاهر النص يوضح بجلاء أن كثرة عدد الذكور عن الإناث عند الولادة هي كثرة فعلية وليست ظاهرية أو مجازية، وهي سنة الله تعالى في الخلق، والتي أظهرتها الحقائق العلمية الحديثة، وهي غلبة عدد الذكور على عدد الإناث عند الولادة، وهو ما يعرف بالنسبة الثانوية لنوع الجنس للمواليد، وهي حوالي ١,٠٥ (أي ١٠٥ مولود ذكر لكل ١٠٠مولود أنثى) ، وفي هذا حكمة إلهية، حيث أن فرصة الإناث في البقاء على قيد الحياة – خاصة في السنة الأولى من العمر– أفضل من مثيلتها في الذكور، وبالتالي تصبح النسبة ١ (أي ١٠٠ ذكر لكل ١٠٠ أنثى) أثناء فترة النضج الجنسي والتناسل، وهي أفضل نسبة لضمان بقاء نوع الإنسان، بينما تنعكس النسبة في الأعمار المتقدمة، فالآية الكريمة تبين لنا قانون من قوانين الخلق التي سنها الله سبحانه وتعالى، وهي الكثرة الفعلية لعدد الذكور مقارنة بالإناث عند الولادة، لما في ذلك من حكمة لضمان إعمار الأرض بالإنسان كما قضى الله عز وجل.

www.eajaz.org

ABSTRACT:

The author suggests that the Holy Verse (4:1) entails the secondary (at birth) sex (male: female) ratio in a precise and inimitable way: (O mankind! reverence your Guardian-Lord, who created you from a single being) i.e. Adam, (and from it created, of like nature, its mate) i.e. Eve, (and from them twain scattered) allover the Earth via reproduction, with scattering taking place at the moment of birth when the new creature gets fully separated from the mother and becomes independent with a unique identity, (men -a lot thereof- and women) sex –males and females- are meant, rather than the adults –men and women- and the wisdom in using the latter formulation is to affirm abundance as they are the potential source of scattering of others and so on. Moreover, those are also the potential addressees for the order (reverence your Guardian-Lord) stated at the start of the verse. The explicit apparent or 'outer' (zahir) meaning conferred by (men -a lot thereof- and women) is the presence of virtual increased number of males compared to females at the moment of "scattering", i.e. delivery. This fact that about 51 percent of all births are male was only recently discovered in modern science. The ratio of male to female at birth – known as the "secondary sex ratio"- is about 1.05, i.e. 105 male: 100 female. In view of the better survival chances for females –especially in the first year of life- the ratio gradually reverts to be nearly 1 (i.e. 100 males : 100 females) by adolescence and sexual maturity.

This ratio is the most optimal ratio for human reproduction, assuring substantial inhabitation of the earth and preservation of human species. So, the presence of a single word –adjective- aids to manifest one of the ever-lasting laws of creation decreed by Allah, being only known to scientists nearly 1400 years later.

www.eajaz.org

مقدمة:

قال تعالى ﴿يا أَيّهَا النّاسُ اتّقُواْ رَبّكُمُ الّذِي خَلَقَكُمْ مّن نّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتّقُواْ اللّهَ الّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[i]. وهذا البحث هو محاولة لفهم ما ورد في الآية الكريمة وعلاقة ذلك بالحقائق العلمية المقرة عن نسبة النوع في خلق الإنسان.

الحقائق العلمية عن نسبة نوع في الإنسان:

إن نسبة الذكور إلى الإناث في معظم الحيوانات تقارب الواحد الصحيح. وفي معظم هذه الحيوانات – والتي تتساوى فيها تقريباً نسبة نوع الجنس عند الولادة – فإن نوع منهما يصبح أكثر شيوعاً في مرحلة لاحقة من الحياة، ومنها على سبيل المثال الكثير من الطيور الأحادية التزاوج **(Monogamous)** فإن الذكور البالغين أكثر عدداً من الإناث البالغات، ومرجع ذلك –على الأرجح– أن الإناث تتحمل معظم –أو كل في بعض الأنواع– المسئولية في احتضان البيض وتنشئة الصغار، وبالتالي فهن أكثر من الذكور تعرضاً للهلاك، ومن ناحية أخرى فإن الطيور متعددة التزاوج **(Polygamous Birds)** –أي التي يكون للذكر منها أكثر من زوجة– فإن تواجد وانتشار الذكور أكثر صعوبة مقارنة بالإناث، وقد يكون مرجع ذلك –جزئياً– مظهر الريش اللافت للنظر في الذكور وكذلك النمط السلوكي مما يجعلهم أكثر من الإناث عرضة للهلاك. في بعض المفصليات **(Arthropods)** –وجدير بالذكر براغيث الماء– فإن بعض الأجيال تتكون فحسب من الإناث اللائى يضعن بيض يتطور لاحقاً بالتكاثر العُذريّ **(Parthenogenesis)**، بينما في أوقات أخرى من العام تتواجد الذكور التي تلقح البيض، وفي مجموعة من الحشرات –ومنها النحل والدبور– فإن معظم الأفراد ما هم إلا الشغالات، وهن إناث عُقُم، وفي الدودة الملعقيّة **(Spoonworm)** يكون الجنس غير محدداً، ثم تعمل العوامل البيئية على تحديد الجنس، بينما يتغير الجنس مع كبر السن في أنواع أخرى من الدود البحريّ **(marine worms)**، ومن ناحية أخرى تتواجد الأعضاء التناسلية الذكرية والأنثوية في كل فرد من ديدان الأرض والقواقع –بالإضافة إلى قليل من الحيوانات– وهو ما يعرف بالخنوثة **(Hermaphroditism)**، وهذه بالطبع شائعة في النباتات المزهرة، والتكاثر اللاجنسي شائع في النباتات، ولكن التكاثر الجنسي هو أيضاً القاعدة في جميع النباتات تقريباً، حيث أن قلة منها فقط هي التي يقتصر فيها حدوث التكاثر اللاجنسي[ii].

إن العامل المحدد للنوع هو التركيب الصِبْغِيّ للحيمن المنوي المُخَصِب للبييضة، وبقول آخر فإن نوع الجنين يتوقف على ما يساهم به الحيمن المنوي المُخَصِب للبييضة من صِبْغِيّ (X) أو (Y) (الشكل-١)، ولأن هذين النوعين من الحيامن المنوية -حاملة شارة الأنوثة (X) أو شارة الذكورة (Y)- تنتج بأعداد متساوية من الرجل (الشكل-٢)، فإنه من المنطقي أن تكون نسبة النوع (الجنس) الأولية (Primary Sex Ratio) -أي عند حدوث الإخصاب- المتوقعة هي ١ (أي ١٠٠ جنين ذكر لكل ١٠٠ جنين أنثى)[iii]، وبرغم ذلك ففي عام ١٩٦٠ تمت دراسة على ٢٤٢ من الأجنة عقب الإجهاض التلقائي وتصنيفها حسب النوع بتعيين الكروماتين الجنسي (sex chromatin) وأظهرت النتائج ازدياد إسقاط الأجنة الذكرية (١٤٩) مقارنة بالأجنة الأنثوية (٩٣)، وفي دراسة لاحقة على الأجنة المستخرجة عقب إنهاء الحمل جراحياً في الأسبوع الخامس إلى الثامن من الحمل أظهرت النتائج أن الأجنة الذكرية تمثل ٧٨ من ١٢٥ جنيناً، مما يعني أن نسبة الذكور إلى الإناث هي ١٦٦ إلى ١٠٠ في تلك المرحلة المبكرة من الحمل[iv]. من ناحية أخرى فإن المشاهد والمعلوم في جميع البلاد أن النسبة ليست كذلك ولكن عدد المواليد من الذكور أعلى من عدد الإناث[v]، ففي أمريكا الشمالية، على سبيل المثال، نجد أن نسبة الجنس الثانوية (Secondary Sex Ratio) -أي عند الولادة- تتراوح بين ١,٠٥ (أي ١٠٥ مولود ذكر لكل ١٠٠مولود أنثى)[vi] و ١,٠٦ (أي ١٠٥ مولود ذكر لكل ١٠٠مولود أنثى)[vii]، وفي المجتمعات السكانية الكبيرة يتواجد ذلك الانحراف النسبي تجاه الذكورة على مدار الأعوام مع حالات استثنائية نادرة، وقد تختلف الصورة عند فحص مجموعات سكانية محدودة العدد[viii]، وقد تتغير تلك النسبة إذا ما تدخل الإنسان للتحكم في نوع الوليد[ix]، والموقف الإسلامي حيال مثل هذا التدخل في عملية الخلق قد تم طرحه من قبل[x].

www.eajaz.org

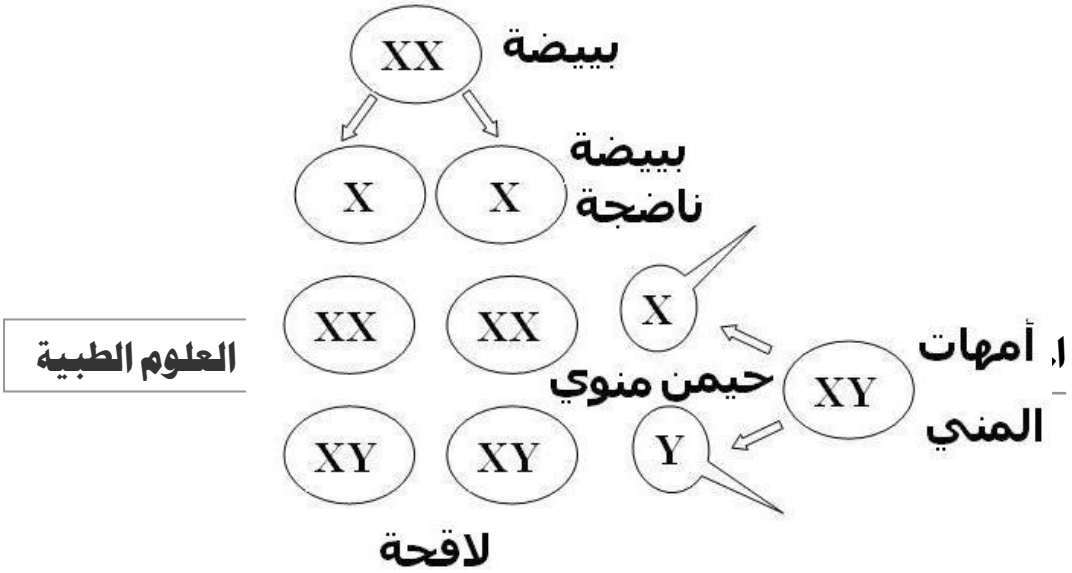

الشكل–١: تحديد جنس الجنين عند الإخصاب: يتوقف التركيب الصبغي للاقحة وكونها أنثوية **(XX)** أو ذكرية **(XY)** على على التركيب الصبغي للحيمن المنوي وليست البييضة الناضجة والتي تحتوي أي واحدة منها على الصبغي **(X)**.

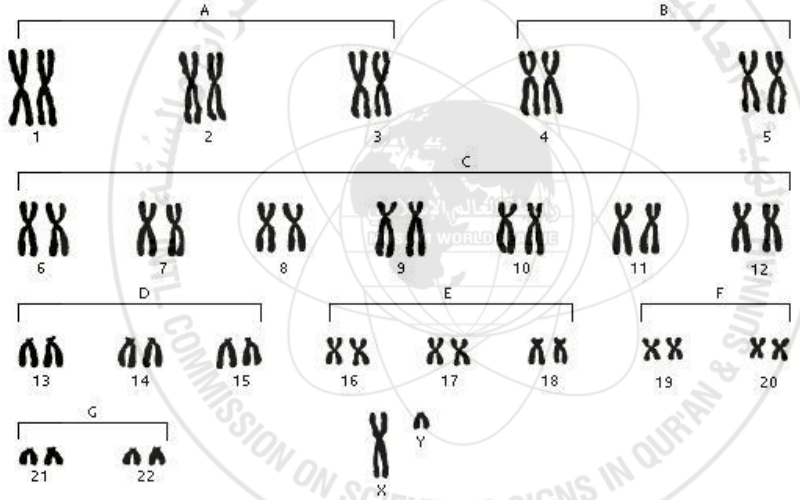

الشكل–٢: النمط الصبغي في الإنسان (ذكر): ويوضح ثلاثة وعشرين زوجاً من الصبغيات (الكروموسومات) والزوج الثالث والعشرون هو **(XY)**.

لا يُعرف على وجه اليقين سبب هذا التباين الواضح بين نسبتي النوع الأولية والثانوية، وقد تم تعليل ذلك بأن حركة الحيامن المنوية الحاملة لشارة الذكورة **(Y)** أكثر نشاطاً مما يعطيها ميزة أكبر في القدرة على إخصاب البييضة، ولكن نتيجة لمعدل الفقد الأعلى في الأجنة الذكرية أثناء الحياة الرحمية تنخفض هذه النسبة عند الولادة[xi]، ولكن في عام ١٩٦٧م اقترح بعض الباحثين أن كثرة تواجد الأجنة

الذكرية عن الأنثوية في أوائل الحمل تدعو إلى القول باحتمالية أن عملية الإخصاب تؤدي إلى إنتاج أجنة ذكرية أكثر من نظريتها الأنثوية أو أن نسبة نجاح الأخيرة في الإنغراس في البطانة الرحمية أقل من الأولى، وحيث أن معظم الدراسات تبين غياب أية فروق في عدد الأجنة الذكرية والأنثوية الناشئة عقب الإخصاب في داخل الجسم أو الإخصاب المعملي، فإنه يبدو أن نظرية الفشل في الإنغراس هي الأكثر صحة؛ وهناك الكثير من الأبحاث عن الأحداث المناعية المتعلقة بالانغراس، ومنها زيادة فرص النجاح في الانغراس في البييضات المخصبة التي تختلف في مولدات المُضاد **(antigenically dissimilar)** عن نظيرتها في الأم؛ وهو الوضع القائم في الأجنة الذكرية التي تختلف بما تحمله على الصِبْغِيّ **(Y)**، مما يُعد عاملاً معضداً لحدوث الانغراس في الأجنة الذكرية، وهذا الأمر حقيقي في المجتمعات السكانية المتناسلة بصورة طبيعية أو فطرية حيث يصبح تأثير هذا العامل أكثر وضوحاً. إن التباين المناعي قد يشرح أيضاً ارتفاع نسبة النوع (٥٥,٧ % ذكور) في أطفال الأمهات اللاتي فصيلة الدم بهن **(AB)** مقارنة بالأخريات ذوات فصائل الدم الأخرى مجتمعة (٥١,٩ % ذكور)، وكذلك ارتفاع نسبة الذكور في الأطفال ذوي فصيلة الدم **(O)** [xii].

وخلاصة الأمر أن نسبة الجنس الثانوية تميل ناحية الذكورة، وعلى الرغم من أن الذكور يمثلون نسبة ٥١ % من المواليد، إلا أن فرصة الإناث في البقاء على قيد الحياة –في المجتمع الغربي الحديث وخاصة في السنة الأولى من العمر– أفضل من مثيلتها في الذكور[xiii]، وبالتالي تصبح النسبة ١ (أي ١٠٠ ذكر لكل ١٠٠ أنثى) أثناء فترة النضج الجنسي أو المراهقة، وهي أفضل نسبة لضمان بقاء نوع الإنسان[xiv]، بينما تنعكس النسبة –أي يفوق عدد الإناث عدد الذكور بقليل– في الأفراد الناضجين[xv].

مذاهب من سبقوا:

شروح المفسرين:

اشتملت هذه السورة على أنواع كثيرة من التكاليف ولما كانت هذه التكاليف شاقة على النفوس لا جرم افتتح السورة بالعلة التي لأجلها يجب حمل هذه التكاليف الشاقة[xvi]، قال تعالى ﴿يا أَيُّهَا النّاسُ اتّقُواْ رَبّكُمُ الّذِي خَلَقَكُمْ مّن نّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ فالعلة هي تقوى الرب الذي خلقنا والإله الذي أوجدنا[xvii]، والاستعمال جار على أن الوصف الذي علق به الحكم علة موجبة له، أو باعثة عليه داعية

إليه، ولا يخفى أن ما هنا كذلك لأن ما ذكر يدل على القدرة العظيمة أو النعمة الجسيمة، ولا شك أن الأول: يوجب التقوى مطلقاً حذراً عن العقاب العظيم، وأن الثاني: يدعو إليها وفاءاً بالشكر الواجب وإيجاب الخلق من أصل واحد للاتقاء على الاحتمال الثاني ظاهر جداً[xviii]، فالأمر بالتقوى معلل بأنه تعالى خلقنا من نفس واحدة، فقوله تعالى مشتمل على قيدين: أحدهما: أنه تعالى خلقنا، والثاني: كيفية ذلك التخليق، وهو أنه تعالي إنما خلقنا من نفس واحدة، ولكل واحد من هذين القيدين أثر في وجوب التقوى[xix]، والمعنى أنه تعالى يأمر خلقه بتقواه، وهي عبادته وحده لا شريك له، ومنبهاً لهم على قدرته التي خلقهم بها من نفس واحدة[xx]، ولفظُ النّاسِ ينتظمُ الذكورَ والإناثَ حقيقة، وأما صيغةُ جمعِ المذكرِ في قوله تعالى ﴿اتّقُواْ رَبّكُمُ﴾ فواردةٌ على طريقة التغليب لعدم تناولِها حقيقةً للإناث عند غيرِ الحنابلة[xxi]، والخطاب يعم المكلفين من لدن نزل إلى يوم القيامة[xxii].

﴿الّذِي خَلَقَكُمْ مّن نّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني من آدم عليه السلام[xxiii]، كما نقل عن السديّ[xxiv]، وقتادة ومجاهد[xxv]، وقال تعالى ﴿وَاحِدَةٍ﴾ على تأنيث لفظ النفس[xxvi]، ولفظ النفس يؤنث وإن عني به مذكر[xxvii]، ونظيره[xxviii] في قوله تعالى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾[xxix].

﴿وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها﴾ عطف على ﴿خَلَقَكُمْ﴾ داخلٌ معه في حيز الصلة، وأعيد الفعل لإظهار ما بين الخلقين من التفاوت لأن الأول: بطريق التفريع من الأصل، والثاني: بطريق الإنشاء من المادة[xxx]، وتقديمُ الجار والمجرور للاعتناء ببيان مبدئيتهِ عليه السلام لها مع ما فيه من التشويق إلى المؤخر كما مر مراراً، وإيرادُها بعنوان الزوجيةِ تمهيدٌ لما بعده من التناسل[xxxi]، والمعنى: وخلق من النفس الواحدة زوجها يعني بـ (الزوج) الثاني لها وهو فيما قال أهل التأويل: امرأتها[xxxii]، أي حوّاء[xxxiii]، ونقل ذلك عن مجاهد وقتادة والسديّ[xxxiv].

﴿وَبَثّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ الضمير في ﴿مِنْهُمَا﴾ راجع إلى آدم وحواء[xxxv]، والمعبر عنهما بالنفس والزوج[xxxvi]، والذين يقولون: إن جميع البشر كانوا كالذر، وكانوا مجتمعين في صلب آدم عليه السلام، حملوا قوله تعالى ﴿وَبَثّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ على ظاهره، والذين أنكروا ذلك قالوا: المراد بث منهما أولادهما ومن أولادهما جمعاً آخرين، فكان الكل مضافا إليهما على سبيل المجاز[xxxvii]، والمعنى أي خَلَق[xxxviii] وذرأ[xxxix] أو فرق[xl] ونشر منهما[xli] في أقطار العالم[xlii] في الأرض[xliii] على وجه التناسل والتوالد[xliv] ﴿رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ على اختلاف أصنافهم وصفاتهم وألوانهم ولغاتهم، ثم إليه بعد ذلك المعاد والمحشر[xlv]، ولم يقل: وبث منهما الرجال والنساء لأن ذلك يوجب كونهما مبثوثين عن نفسهما وذلك محال، فلهذا عدل عن هذا اللفظ إلى قوله: ﴿وَبَثّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾[xlvi].

﴿رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ حَصَر ذريتهما في نوعين فاقتضى أن الخُنثى ليس بنوع، لكن له حقيقة تردّه إلى هذين النوعين وهي الآدمية فيلحق بأحدهما[xlvii]، وقيل: وليس المراد بالرجال والنساء البالغين والبالغات، بل الذكور والإناث مطلقاً تجوزاً، ولعل إيثارهما على الذكور والإناث لتأكيد الكثرة والمبالغة فيها بترشيح كل فرد من الأفراد المبثوثة لمبدئية غيره[xlviii]، وقيل: ذكر الكبار منهم لأنه في معرض المكلفين بالتقوى[xlix].

﴿كَثِيرًا﴾ نعت لرجالاً مؤكد لما أفاده التنكير[l]، فهو وصف مؤكد لما تفيده صيغة الجمع لكونها من جموع الكثرة[li]، والإفراد باعتبار معنى الجمع، أو العدد، أو لرعاية صيغة فعيل[lii]، وقيل: أنه نعت لمصدر محذوف أي بثاً كثيراً ولهذا أفرد[liii]، فان قيل: لم يقل: وبث منهما رجالا كثيراً ونساء كثيراً؟ ولماذا خصص وصف الكثرة بالرجال دون النساء؟[liv] والجواب: (الوجه الأول) قوله تعالى: ﴿وَنِسَاءً﴾ أي: كثيرة، وترك التصريح به استغناء بالوصف الأوّل[lv]، (الوجه الثاني) أن شهرة الرجال أتم، فكانت كثرتهم أظهر، فلا جرم خصوا بوصف الكثرة، وهذا كالتنبيه على أن اللائق بحال الرجال الاشتهار والخروج والبروز، واللائق بحال النساء الاختفاء والخمول[lvi]، (الوجه الثالث) اكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها لأن الحكمة تقتضي أن يكنّ أكثر إذ للرجل أن يزيد في عصمته على واحدة بخلاف المرأة[lvii].

مذاهب الباحثين الإسلاميين:

لم يتعرض أحد من الباحثين الإسلاميين –والله تعالى أعلم– من قبل لهذه الآية الكريمة.

مذهب الكاتب:

يذهب الكاتب –والله تعالى أعلم– إلى أن قوله تعالى ﴿رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ قد خصص وصف الكثرة بالرجال دون النساء تبياناً لسنة الله تعالى في الخلق، وهي غلبة عدد الذكور على عدد الإناث عند الولادة، وهو ما يعرف بالنسبة الثانوية لنوع الجنس للمواليد **(Secondary sex ratio)**، وهو ما يتفق مع الحقائق العلمية التي تم الكشف عنها حيث وجد أن نسبة الجنس عند الولادة هي حوالي ١,٠٥ (أي ١٠٥ مولود ذكر لكل ١٠٠مولود أنثى)[lviii]، ويرجح ذلك المذهب ما يلي:

(أولاً) أن لحظة البث في قوله تعالى ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾ هي وقت الولادة، حيث ينفصل الخلق الجديد كلياً عن الأم ويصبح كائناً محدداً مستقلاً بذاته، ويؤيد ذلك ما أتى في شروح الآية الكريمة حيث قال المفسرون: المعنى أي خَلَق[lix] وذرأ[lx] أو فرق[lxi] ونشر منهما[lxii] على وجه التناسل والتوالد[lxiii].

(ثانياً) أن المراد من قوله تعالى ﴿رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ هو الذكور والإناث مطلقاً تجوزاً وليس الرجال والنساء البالغين والبالغات[lxiv]، وقيل في حكمة إيثارهما على الذكور والإناث:

١ -لتأكيد الكثرة والمبالغة فيها بترشيح كل فرد من الأفراد المبثوثة لمبدئية غيره[lxv].

٢- في صدر الآية، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ أمر بالتقوى، ولذا ذكر الكبار منهم لأنه في معرض المكلفين بالتقوى[lxvi].

(ثالثاً) على الرغم من أن بعض المفسرين الأجلاء قد لجأوا إلى التأويل بصورة واضحة حيث قالوا: قوله تعالى ﴿وَنِسَاءً﴾ أي: كثيرة، وترك التصريح به استغناء بالوصف الأوّل[lxvii]، أي افترضوا وجود حذف بالآية مع نفي التخصيص بالكثرة للرجال دون النساء، ولكن هناك من أقروا بالتخصيص[lxviii]، وفي محاولاتهم لفهم دلالة التخصيص ذهب الألوسي إلى أن الوصف بالكثرة مجازياً حيث برر التخصيص بأن الحكمة تقتضي ذلك إذ للرجل أن يزيد في عصمته على واحدة بخلاف المرأة[lxix]، وفي محاولة لفهم الكثرة على أنها كثرة عددية وليست مجازية ذهب الرازي إلى القول بأن شهرة الرجال أتم، فكانت كثرتهم أظهر، فلا جرم خصوا بوصف الكثرة، وأن هذا كالتنبيه على أن اللائق بحال الرجال الاشتهار والخروج والبروز، واللائق بحال النساء الاختفاء والخمول[lxx]، أي أن الكثرة العددية هي أمر ظاهري في المجتمع وليس فعلي، وبالتأمل نجد أن هناك تأويلاً في كل من الرأيين، حيث شرحت الكثرة على أنها مجازية أو ظاهرية، وليست كثرة فعلية، وما يذهب إليه الباحث هو أن الكثرة فعلية وأن هذا يتفق بصورة جلية مع الحقيقة العلمية، فبقبول ذلك المذهب يستقيم المعنى عند الأخذ بظاهر النص، وهذا يتفق مع القواعد المقرة في التفسير حيث أنه لا يجوز التأويل عندما يفيد المعنى ظاهر النص، وذلك لأنه قول بدون علم على الله تعالى قد يأثم قائله.

وبالأخذ بالمذهب المطروح نجد ما يلي:

(أولاً) إن في زيادة عدد الذكور عن عدد الإناث حكمة إلهية، حيث أن فرصة الإناث في البقاء على قيد الحياة -في المجتمع الغربي الحديث وخاصة في السنة الأولى من العمر- أفضل من مثيلتها في الذكور[lxxi]، فالذكور أكثر عرضة للوفاة، وبالتالي تصبح النسبة ١ (أي ١٠٠ ذكر لكل ١٠٠ أنثى) أثناء فترة النضج الجنسي أو المراهقة، وهي أفضل نسبة لضمان بقاء نوع الإنسان[lxxii]، بينما تنعكس النسبة -أي يفوق عدد الإناث عدد الذكور بقليل- في الأفراد الناضجين[lxxiii]، ثم تنعكس

النسبة في الأعمار المتقدمة نتيجة الوفاة المبكرة للذكور عن الإناث، والآية الكريمة تبين لنا قانون من قوانين الخلق التي سنها الله سبحانه وتعالى، وهي الكثرة الفعلية لعدد الذكور مقارنة بالإناث عند الولادة، لما في ذلك من حكمة لضمان عمار الأرض بالإنسان كما قضى الله عز وجل.

(ثانياً) أغفل عبد الله يوسف على –صاحب أشهر ترجمة لمعاني القرآن الكريم– تخصيص الكثرة للرجال دون النساء، حيث أتى معنى قوله تعالى (رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء) في ترجمته "countless men and women"، فجعل صفة الكثرة للنوعين، الرجال والنساء[lxxiv]، وهو ما ذهب إليه بعض المفسرين –كما سبق بيانه– بالنحو إلى التأويل[lxxv]، والترجمة الأكثر دقة – من وجهة نظر الكاتب– هي: "men (a lot thereof) and women" فهي تبين بوضوح قصر صفة الكثرة على الرجال.

(ثالثاً) من الأمور التي تستحق التوقف والتأمل –حيث أنها تحمل أسراراً كثيرة– ما أشار إليه الرازي في شرح قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُم[lxxvi])، حيث قال: "أنه تعالى جعل هذا المطلع مطلعاً لسورتين في القرآن: إحداهما: هذه السورة وهي السورة الرابعة من النصف الأول من القرآن. والثانية: سورة الحج، قوله تعالى ﴿ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ)﴾[lxxvii]، وهي أيضا السورة الرابعة من النصف الثاني من القرآن، ثم إنه تعالى علل الأمر بالتقوى في هذه السورة بما يدل على معرفة المبدأ، وهو أنه تعالى خلق الخلق من نفس واحدة، وهذا يدل على كمال قدرة الخالق وكمال علمه وكمال حكمته وجلاله، وعلل الأمر بالتقوى في سورة الحج بما يدل على كمال معرفة المعاد، وهو قوله ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾، فجعل صدر هاتين السورتين دلالة على معرفة المبدأ ومعرفة المعاد، ثم قدم السورة الدالة على المبدأ على السورة الدالة على المعاد، وتحت هذا البحث أسرار كثيرة"[lxxviii]. والكاتب يود أن يشير أيضاً إلى علاقة أخرى بين هاتين السورتين، ففي سورة النساء إشارة موجزة إلى مبدأ الخلق من نفس واحدة وما تلاه من (بث) لبني آدم في الأرض، قوله تعالى ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾[lxxix]، بينما في سورة الحج، قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[lxxx] ورد مبدأ خلق النفس الواحدة –وهو من تراب– وما أعقب

ذلك من كيفية (البث) من الزوجين –الذكر والأنثى– بصورة تفصيلية، ومن أنه يحدث خلال دورة الحياة لجنس الإنسان –والتي لم تعرفها البشرية إلا في مطلع القرن العشرين– وأنها تمر بثلاثة مراحل محددة (الشكل–٣)، وقد أتت الآية الكريمة بوصف هذه السنة الكونية في صورة معجزة في إيجازها ودقتها وجمالها[lxxxi]، هذا والله تعالى أعلم.

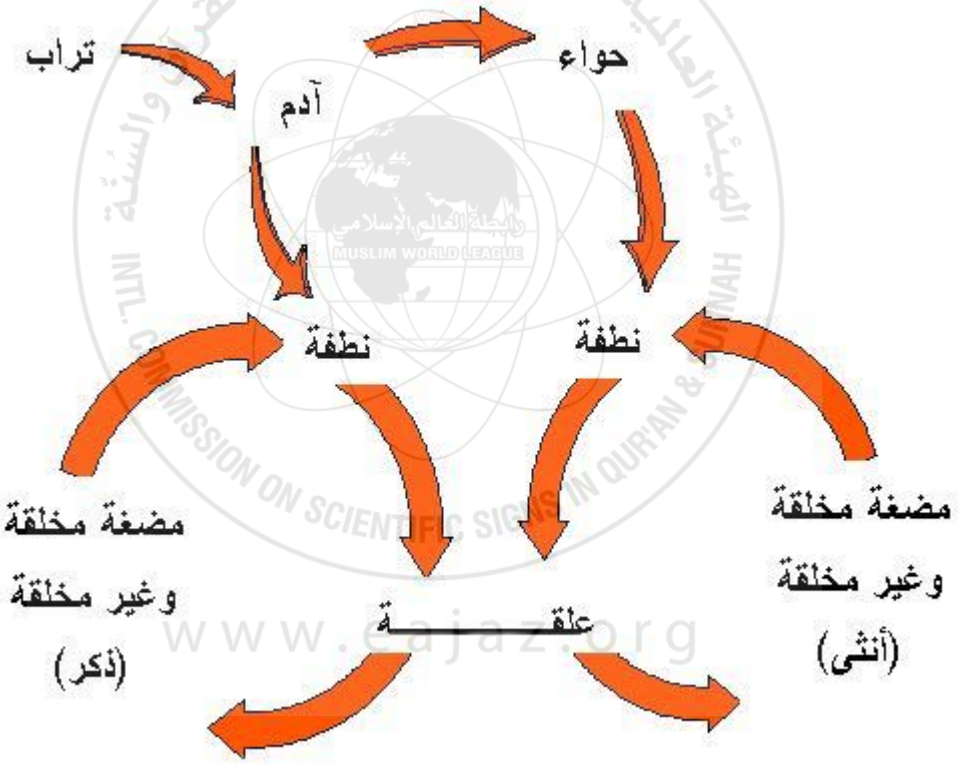

الشكل–٣: رسم توضيحي لدورة الحياة: منظور قرآني.

المراجع:

[١] القرآن الكريم.
[٢] أبو جعفر بن محمد بن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر.
[٣] أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن الكريم، دار الريان للتراث، القاهرة، مصر.
[٤] فخر الدين الرازى أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي: التفسير الكبير للإمام الفخر الرازى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
[٥] أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، دار التراث العربي، القاهرة، مصر.
[٦] محمد بن على الشوكاني: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. دار الفكر، بيروت، لبنان.
[٧] أبو السعودمحمد بن محمد العمادي: إرشاد العقل السليم إلي مزايا القرآن الحكيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
[٨] أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر، بيروت، لبنان.
[٩] **Abdullah Yusuf Ali: THE HOLY QUR`AN Text, Translation and Commentary, Amana Corporation, Maryland, USA, 1409 AH/1989 AC.**
[١٠] دائرة المعارف البريطانية ١٩٩٨.
[١١] كارم السيد غنيم: الاستنساخ والإنجاب بين تجريب العلماء وتشريع السماء. دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص. ٣٠٦-٣١٤.

[١٢] كريم حسنين: محاولة لفهم وبيان أوجه الإعجاز في قوله تعالى ﴿مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾: دراسة علمية موضوعية جديدة. مجلة طب الأسرة والمجتمع السعودية، مارس ١٩٩٥م، ٢(١):٧٩-٨٤.

[١٣] كريم حسنين: دورة حياة الإنسان في القرآن الكريم (١): محاولة لفهم وبيان الإعجاز في الآية الخامسة من سورة الحج. في كريم حسنين: دورة حياة الإنسان بين العلم والقرآن. نهضة مصر، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، يناير ٢٠٠٠م، الباب الخامس، ص. ١٣٨-١٧١.

[١٤] **Bernstein, M.E.: Genetic control of secondary sex ratio. Human Reproduction, Vol.10, No.10, Oct. 1995, p.2531-2532.**

[١٥] **Peter Bromwich: The sex ratio, and ways of manipulating it. In John Studd (ed.) Progress in Obstetrics & Gynaecology, Volum 7. Churchill Livingstone, Edinbutgh, UK, 1989, chap.14, pp. 217-231.**

[١٦] **Sir Norman Jeffcoate: Principles of Gynaecology. Butterworth & Co Ltd, London, England, 4th edition, 1975, , p.127-133, 155-186**

[١٧] **Johnson LA & Welch GR: Sex preselection in mammals by DNA: A method for flow separation of X and Y spermatozoa in humans. In T Rabe, K Diedrich & B Runnbaum (Eds.) Manual of assisted reproduction. Springer-Verlag, Berlin, Germany, 1997, p.337-349.**

[١٨] **Moore, K.L.: The Developing Human: Clinically Oriented Embryology, with Islamic Additions: Correlation Studies with Qur'an and Hadith by Azzindani A.A., Dar Al-Qiblah, Jeddah, Saudi Arabia, 1983, pp.23, 255-297.**

[١٩] **Serour, G.I., Aboulghar, M.A., & Mansour, R.T.: Bioethics in medically assisted conception in the Muslim World. J Assist Reprod Genet, 1995, 12(9): 559-565.**

الهوامش

[i] الآية (١) من سورة النساء.

[ii] دائرة المعارف البريطانية ١٩٩٨.

[iii] K. L. Moore & A. A. Azzindani. و Bernstein, M.E. و Sir Norman Jeffcoate. و Peter Bromwich.

[iv] Peter Bromwich.

[v] K. L. Moore & A. A. Azzindani. و Bernstein, M.E. و Sir Norman Jeffcoate.

[vi] K. L. Moore & A. A. Azzindani.

[vii] Sir Norman Jeffcoate

[viii] Bernstein, M.E.

[ix] Peter Bromwich و K. Moore.، Serour et al. وJohnson LA & Welch GR وكارم غنيم.

[x] Serour et al. وكارم غنيم

[xi] Sir Norman Jeffcoate

[xii] Peter Bromwich.

[xiii] دائرة المعارف البريطانية ١٩٩٨.

[xiv] دائرة المعارف البريطانية ١٩٩٨، و Bernstein, M.E

[xv] دائرة المعارف البريطانية ١٩٩٨.

[xvi] تفسير الرازي.

[xvii] تفسيري الرازي والألوسي.

[xviii] تفسير الألوسي.

[xix] تفسير الرازي.

[xx] تفسيري الطبري وابن كثير.

[xxi] تفسيري أبي السعود والألوسي.

[xxii] تفاسير الرازي وأبي السعود والشوكاني والألوسي.

[xxiii] تفاسير الطبري والقرطبي والرازي وابن كثير والشوكاني والألوسي.

[xxiv] تفسير الطبري.

[xxv] تفسيري الطبري والقرطبي.

[xxvi] تفاسير الطبري والقرطبي والرازي والشوكاني.

[xxvii] تفسير ابن كثير.

www.eajaz.org

[xxviii] تفسير الرازي.
[xxix] الآية (٧٤) من سورة الكهف.
[xxx] تفسيري أبي السعود والألوسي.
[xxxi] تفسير أبي السعود.
[xxxii] تفسير الطبري.
[xxxiii] تفاسير الطبري والرازي وابن كثير والشوكاني والألوسي.
[xxxiv] تفسير الطبري.
[xxxv] تفاسير الطبري والقرطبي والرازي وابن كثير وأبي السعود والشوكاني والألوسي.
[xxxvi] تفسير الشوكاني.
[xxxvii] تفسير الرازي.
[xxxviii] تفسير الطبري.
[xxxix] تفسير ابن كثير.
[xl] تفاسير القرطبي والرازي والألوسي.
[xli] تفاسير الطبري والقرطبي والرازي وابن كثير وأبي السعود والألوسي.
[xlii] تفسير ابن كثير.
[xliii] تفسيري القرطبي والرازي.
[xliv] تفسيري أبي السعود والألوسي.
[xlv] تفسير ابن كثير.
[xlvi] تفسير الرازي.
[xlvii] تفسير القرطبي.
[xlviii] تفسيري أبي السعود والألوسي.
[xlix] تفسير الألوسي.
[l] تفسيري أبي السعود والألوسي.
[li] تفسير الشوكاني.
[lii] تفسيري أبي السعود والألوسي.
[liii] تفاسير أبي السعود والشوكاني والألوسي.
[liv] تفسير الرازي.
[lv] تفسيري أبي السعود والشوكاني.
[lvi] تفسير الرازي.
[lvii] تفسير الألوسي.

www.eajaz.org

[lviii] K. L. Moore and A. A. Azzindani: The Developing Human: Clinically Oriented Embryology, with Islamic Additions: Correlation Studies with Qur'an and Hadith.

[lix] تفسير الطبري.

[lx] تفسير ابن كثير.

[lxi] تفاسير القرطبي والرازي والألوسي.

[lxii] تفاسير الطبري والقرطبي والرازي وابن كثير وأبي السعود والألوسي.

[lxiii] تفسيري أبي السعود والألوسي.

[lxiv] تفسيري أبي السعود والألوسي.

[lxv] تفسيري أبي السعود والألوسي.

[lxvi] تفسير الألوسي.

[lxvii] تفسيري أبي السعود والشوكاني.

[lxviii] تفسيري الرازي والألوسي.

[lxix] تفسير الألوسي.

[lxx] تفسير الرازي.

[lxxi] دائرة المعارف البريطانية ١٩٩٨.

[lxxii] دائرة المعارف البريطانية ١٩٩٨، و Bernstein, M.E

[lxxiii] دائرة المعارف البريطانية ١٩٩٨.

[lxxiv] Abdullah Yusuf Ali:THE HOLY QUR`AN Text, Translation and Commentary

[lxxv] تفسيري أبي السعود والشوكاني.

[lxxvi] الآية (١) من سورة النساء.

[lxxvii] الآية (١) من سورة الحج.

[lxxviii] تفسير الرازي.

[lxxix] الآية (١) من سورة النساء.

[lxxx] الآية (٥) من سورة الحج.

[lxxxi] كريم حسنين: محاولة لفهم وبيان أوجه الإعجاز في قوله تعالى ﴿مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾: دراسة علمية موضوعية جديدة. ودورة حياة الإنسان في القرآن الكريم (١): محاولة فهم وبيان الإعجاز في الآية الخامسة من سورة الحج.

www.eajaz.org

الشرائح والأشكال التفصيلية:

قوله تعالى "وَبَثَّ مِنْهُمَا"
لحظة البث في هي وقت الولادة حيث ينفصل الخلق الجديد كلياً عن الأم ويصبح كائناً محدداً مستقلاً بذاته، ويؤيد ذلك ما أتى في شروح الآية الكريمة حيث قال المفسرون: المعنى أي خَـلَق وذرأ أو فرق ونشر منهما على وجه التناسل والتوالد.
www.eajaz.org

قوله تعالى "رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً"

المراد الذكور والإناث مطلقاً تجوزاً وليس الرجال والنساء البالغين والبالغات، وقيل في حكمة إيثارهما على الذكور والإناث:

(أ) لتأكيد الكثرة والمبالغة فيها بترشيح كل فرد من الأفراد المبثوثة لمبدئية غيره.

(ب) في صدر الآية، قوله تعالى "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ" أمر بالتقوى، ولذا ذكر الكبار منهم لأنه في معرض المكلفين بالتقوى.

تخصيص وصف الكثرة للرجال دون النساء في قوله تعالى "رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً"

- سنة الله تعالى في الخلق: وهي غلبة عدد الذكور على عدد الإناث عند الولادة.
- هو ما يعرف علمياً بالنسبة الثانوية لنوع الجنس للمواليد (Secondary sex ratio)، وهي حوالي ١,٠٥ (أي ١٠٥ – ١٠٦ مولود ذكر لكل ١٠٠مولود أنثى).

الدليل

إن شروح المفسرين لجأت إلى التأويل بصورة واضحة بينما تذهب الدلالة المطروحة إلى أنها كثرة فعلية، وهو ما يتفق بصورة جلية مع الحقيقة العلمية، فبقبول ذلك المذهب يستقيم المعنى عند الأخذ بظاهر النص، وهذا يتفق مع القواعد المقرة في التفسير حيث أنه لا يجوز التأويل عندما يفيد المعنى ظاهر النص، وذلك لأنه قول بدون علم على الله تعالى قد يأثم قائله.

www.eajaz.org

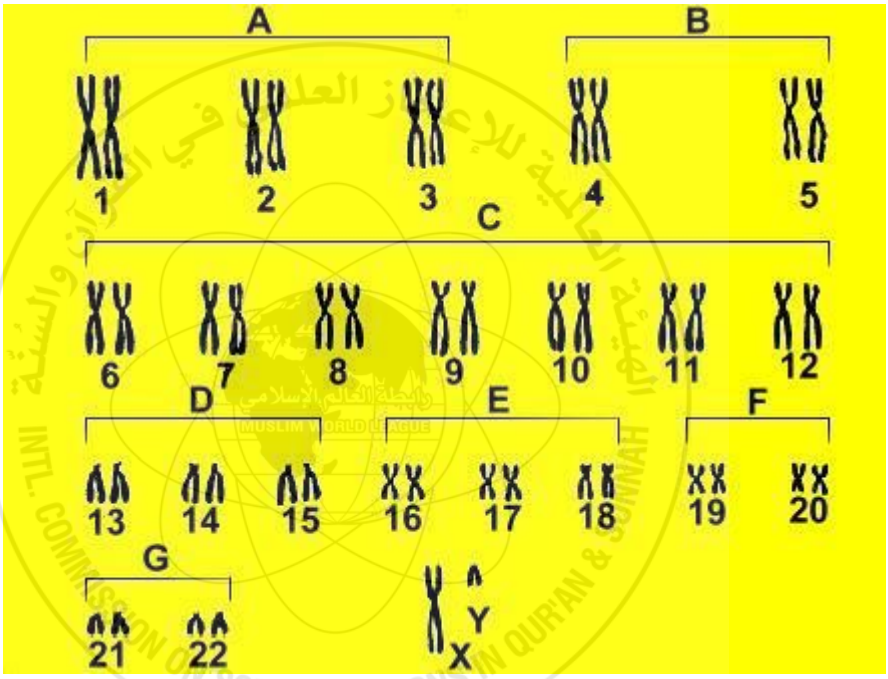

www.eajaz.org

من أسرار القرآن
"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ" النساء (١)
السورة الرابعة من النصف الأول من القرآن .
علل الأمر بالتقوى بما يدل على معرفة المبدأ.
"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ" الحج(١)
السورة الرابعة من النصف الثاني من القرآن .
علل الأمر بالتقوى بما يدل على كمال معرفة المعاد .
www.eajaz.org

النساء: مبدأ الخلق: نفس واحدة خلق منها زوجها ثم البث .

الحج: الكيفية التفصيلية للبث خلال دورة الحياة .

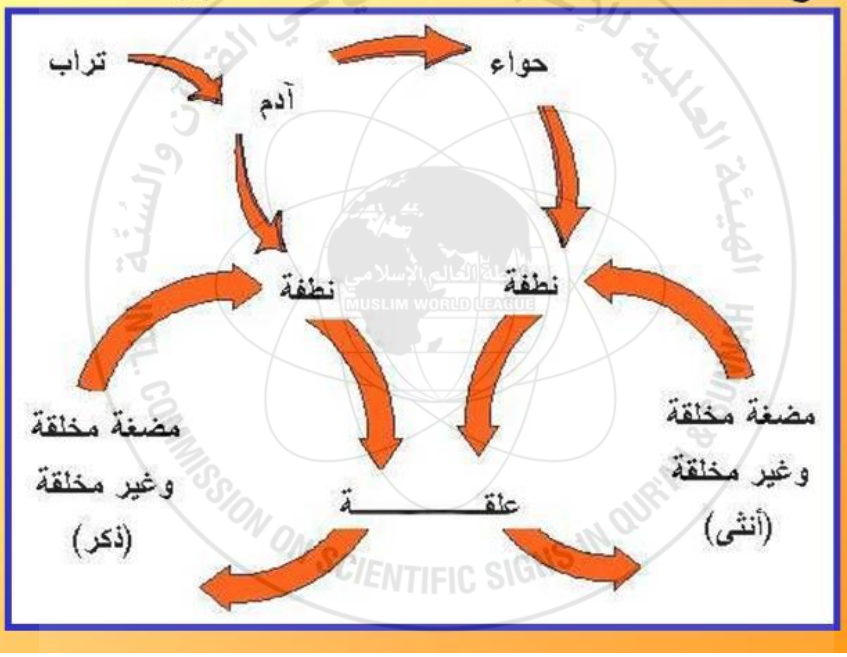

www.eajaz.org

www.eajaz.org

MUTLICELLULAR
DIPLOID
ANIMAL
LIFE CYCLE
ZYGOTE
MEIOSIS
FERTILISATION
GAMETES
1
2
3
www.eajaz.org

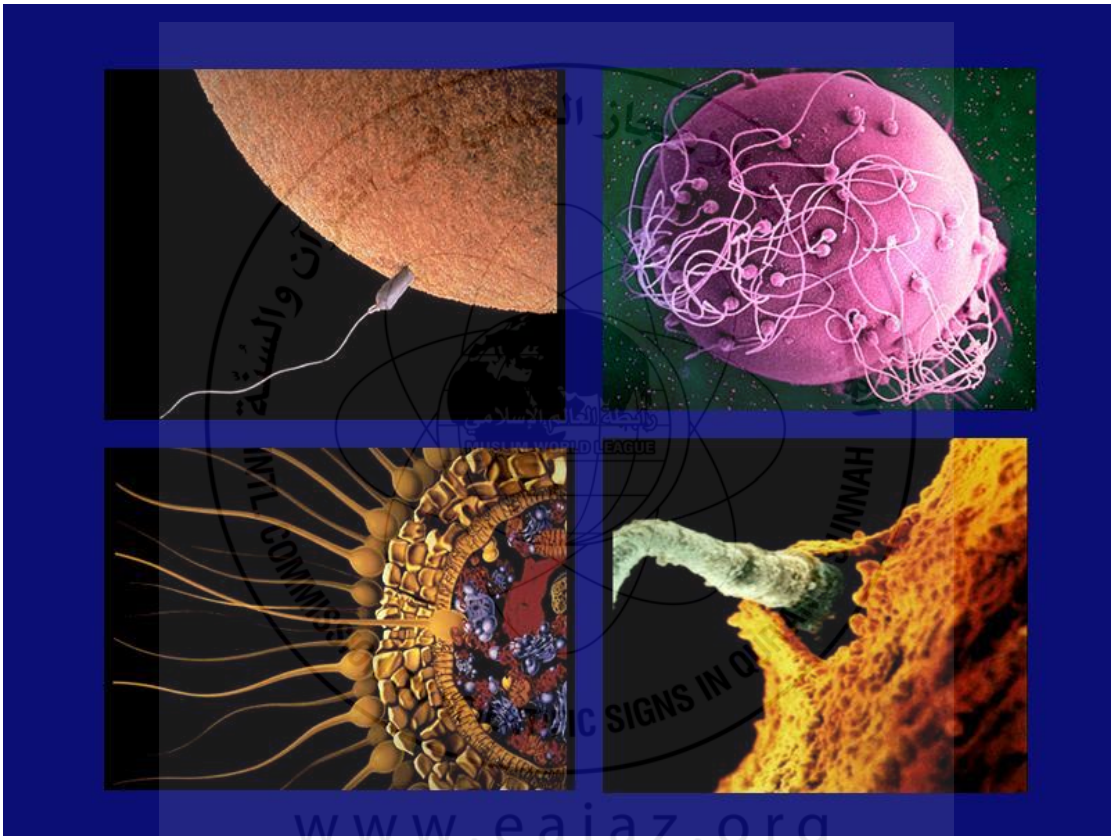

www.eajaz.org

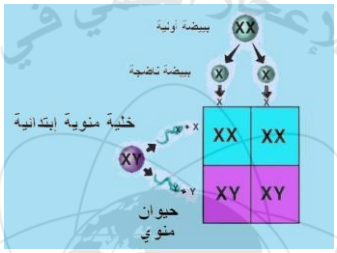
بيضة أولية
XX
بيضة ناضجة
X
X
خلية منوية ابتدائية
XX
XX
XY
XY
XY
حيوان منوي

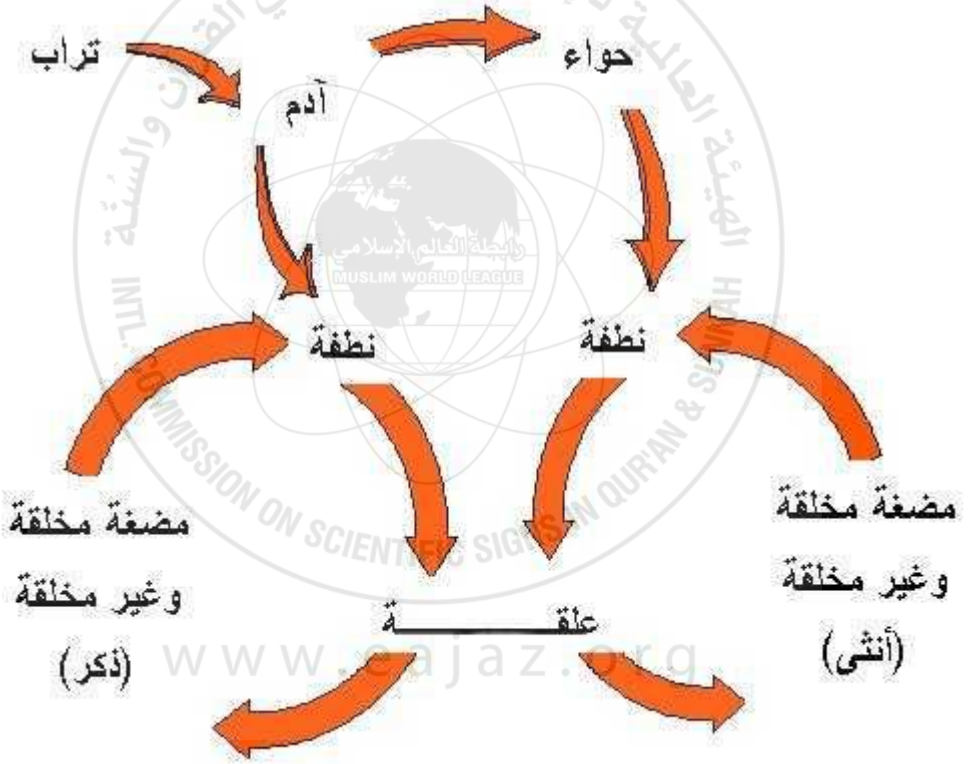
تراب
آدم
حواء
نطفة
نطفة
مضغة مخلقة
وغير مخلقة
(ذكر)
علقـــــــة
مضغة مخلقة
وغير مخلقة
(أنثى)

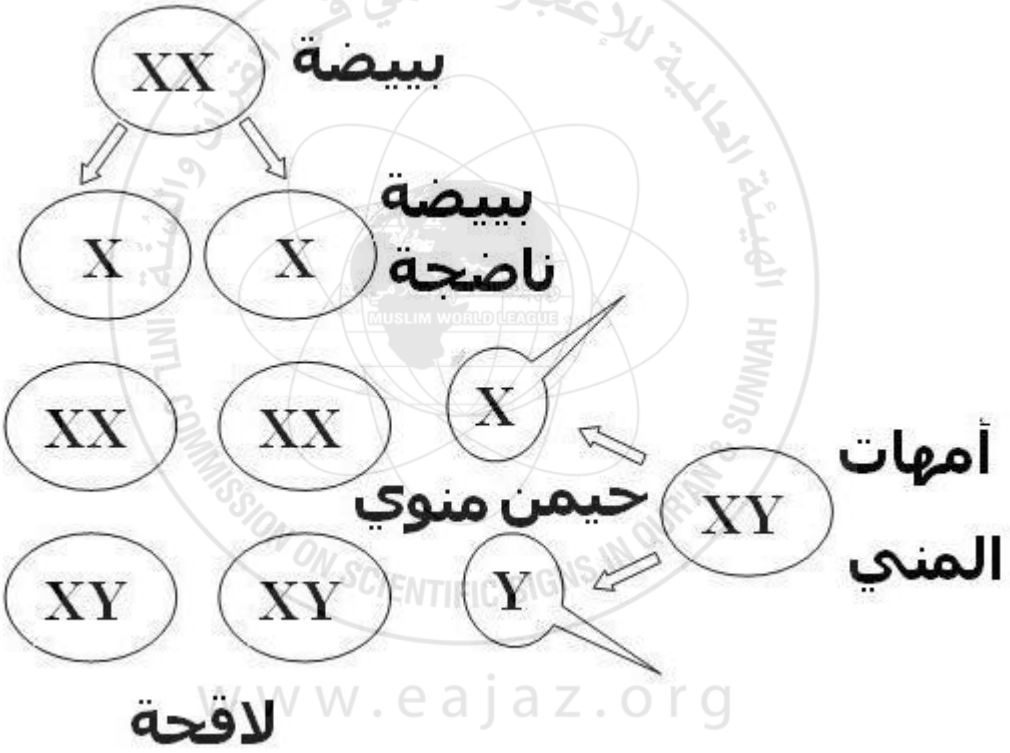
بييضة
XX
بييضة
ناضجة
X
X
XX
XX
X
أمهات
المني
حيمن منوي
XY
XY
XY
Y
لاقحة

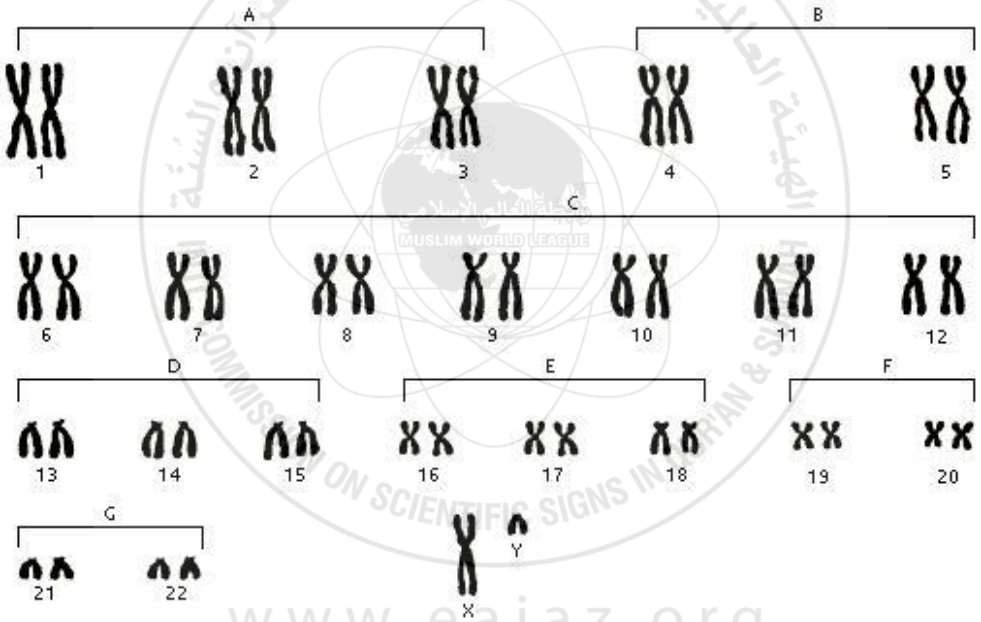

www.eajaz.org